

القراء يكتبون : الرجاء النهوض بمتحف باردو والبحث عن حلول لأزمة الإدارة الحالية

11:55 20/01/2016



متحف باردو

تضمرنا الحياة أحيانا أن نستقر بعيدا عن الوطن و لكنه يظل ساكنا فينا و نحمل عنه أطيب الذكريات و نرسم عنه أجمل اللوحات حتى نخفف من ألم فراق الأهل و الأصدقاء. و يهزنا الشوق و الحنين إليه كلما سحنت الفرصة و تكون فرحة العودة بحجم هذا الوطن و أكبر خصوصا و نحن نعود لحضنه بعد غياب دام أكثر من 30 سنة. أخيرا تستلني لي الفرصة في الصيف المنقضي كي أزور أحد أهم معالم بلدي ألا وهو متحف باردو. و اصطحبت معي لاكتشاف هذا المعلم زميلة أمريكية كنت قد استضفتها في نفس تلك الصانفة لزيارة تونس، و هي باحثة دوليّة تهوى الفنون و خاصة موسيقى الجاز و الفيسفاس. و قد قبلت السيدة دعوتي رغم التضييقات الأمنيّة و التهديدات الإرهابيّة و عزّرت عن رغبتها الشديدة في زيارة المتحف لرؤية لوحات الفيسفاس الفريدة من نوعها و ليّتها لم تقبل.

و في أواخر شهر أوت 2015 قمنا بزيارة المتحف و ابتدأنا جولتنا بقاعات الطابق الأرضي حيث استمتعنا بمجموعة مذهلة من الفيسفاس الحائطية و الأرضية و التقطنا عديد الصور التذكاريّة. كان المرشد السياحيّ يجيد اللغة الانجليزية إلى حدّ مقبول و ملّمنا بالأحداث التاريخية المترامنة مع مختلف اللوحات و التماثيل و القطع الأثرية بالمتحف. و انتقلنا إثر ذلك بالمصعد إلى الطابق العلويّ، و هناك أحسنا تدريجيّا بالشداد الحرّ و سرعان ما أصبحت الجولة غير مريحة على الإطلاق. و باستفسارنا عن نظام التكييف، اندهشنا لعدم وجود نظام تكييف بالمتحف.

لقد سبق و زرت في أسفاري عديد المتاحف سواء بأوروبا أو أمريكا أو دول الشرق الأوسط و ما أنكره أنّ كلّ المتاحف التي قصدتها كانت مجهزة بأنظمة التكييف. ثمّ استدرك المرشد السياحيّ قائلا أنه توجد حاليا منطقة في طور الانجاز في المتحف مزوّدة بالمكيفو الأغلب على الظن أن التبريد خصّص لفائدة العاملين في أشغال البناء و التهيئة حتى يتّموّأ أشغالهم في ظروف جيّدة. و رغم استحسانيّ لهذه اللقطة الإنسانية فإنّه لم يسعني التّعاضّي عن التّفكير في الزوّار القادمين من وراء المحيط الأطلسي لاكتشاف مجموعة فيسفاس فريدة

في العالم و التّساؤل بخصوص مستوى الخدمات في متحف بأهميّة متحف باردو. و رغم محاولتنا استكمال الجولة فإنّ ضيقتي ضاقتنرا بالحرّ و احمرّ وجهها من شدّته ممّا اضطرنا في آخر المطاف إلى تعليق تجوالنا بعد أن عزّرت السيّدّة بأسيّ شديد عن استحالة المواصلة في هذه الظروف.

اتجهت عندها إلى مكتب الاستقبال و طلبت التحدّث إلى مدير المتحف أو نائبه على الأقلّ فعملت من سيدات الاستقبال أنّهما متغيّبان بحكم أن يوم الأحد هو يوم عطلتهما و بالتّالي لم يكن بوسعي إيصال ملاحظاتي إلى أيّ جهة مسؤولة في ظلّ غيابها. فطلبت أنّك تدوين انطباعاتنا أنا و ضيفتي، فسألتمني السيدات في مكتب الاستقبال دقّتر ملاحظات بنطوي على استمارات ذات ثلاث نسخ من ورق الكربون.

و حين بدأت بقراءة محتويات الاستمارة تطلبتني أنّ البيانات المطلوب تعميمها تستهدف معلومات شخصيّة مثل اسمي و جنسيتي و عمري و رقم هاتفي و حتّى اسم النزل الذي أقيم فيه و رقم الغرفة !!! استغربت بشدة من هذا الأسلوب الإستنطاعي للاستمارة و انتابتنّي صدمة ثقافيّة! ففي معظم أنحاء العالم، غالبا ما تكون استمارات الملاحظات و التّشكيكات خفيّة الهوية إلا إذا قرّر الشخص الإفصاح عنها؛ و في بلادنا يحصل العكس تماما. و رغم غربة دامت قرابة ثلاث عقود عن الوطن، فإنّي كنت اعتقد أنّ تونس مواكبة للمعايير الدوليّة و لم أفهم ماهيّة المقاييس المطبقة حاليا أو أسباب صياغة استمارة ملاحظات بأسلوب استنطاعيّ مماثل لم يتّطوّر إلى اليوم، لماذا لم نسمع أيّ تشكيكات أو تنديدات أخرى بنقلناص إدارة المتحف؟ ماذا عن الحامل الورقيّ لدقّتر الملاحظات المتكوّن من ورق الكربون و ثلاث نسخ لكلّ استمارة؟ ألا يشكّل هذا هدرا للموارد العامّة التي تشكّل حاليا نقطة ساخنة في التّتبّعات القضائيّة لاسترجاع ثروات الدولة؟

و قد شدّ انتباهي أيضا موقع المتحف المحاذي لمجلس نواب الشعب ممّا دفعني للتّساؤل بخصوص زيارة أعضاء المجلس لهذا المتحف و انطباعاتهم عن الوضع الحاليّ بالمتحف؟ و إذا ما ثبت أنّهم قد قاموا فعلا بزيارة ميدانيّة فلماذا بقيت الأمور التنظيميّة و المعايير المعتمدة متأخّرة و غير مواكبة للمعايير المعتمدة بالمتاحف العالميّة؟

حتمًا بقيت عديد الأسئلة معلقة واضطرت أنا وضيقتي بأسي شديد إلى قطع زيارتنا دون الاطلاع على جميع مكونات المتحف ولكن ليس من دون تدوين تعليق مجهول الهوية عن مدى استيانتنا وعدم استحساننا للظروف الغير ملائمة.

الرجاء النهوض بمتحف باردو و البحث عن حلول لأزمة الإدارة الحالية

لفت انتباهي خلال جولتي المقتضية في المتحف عديد مظاهر سوء التسيير على صعيد الخدمات المقدمة ومشاكل المحل التجاري. فمكتب الاستقبال مثلا، يجمع عديد العاملين كالصرف و المترجم و عامل المكتبة في نفس الفضاء دون أي تنظيم أو تقسيم واضح لكل وظيفة لمعرفة من المسؤول عن ماذا. و لذلك اضطرت في كل مرة للسؤال عن العون المكلف بقبول معلوم الدخول أو مقتنيات المكتبة أو المحل التجاري أو مصاريف المرشد السياحي، الخ... كان بالإمكان تجنّب عناء الاستفسار المتكرر، لو توفرت لافتات توضيحية عن مختلف الخدمات. و دفعتني هذه الملحوظة إلى التفكير في أسباب غياب أدنى مستويات التنظيم بمكتب الاستقبال في المتحف؛ ألا تقوم الوزارة بتدريب العاملين بالمتحف؟ إلا يزور المسؤولون والمدراء دولا أجنبية و يتعرفون إلى كيفية تطوير طرق العمل بها؟ هل تعتمد إدارة المتحف تهميش مكتب الاستقبال و عدم تنظيمه بطريقة محكمة و متطورة؟ اعترضتني ظاهرة أخرى من مظاهر التأخر في هذا المتحف و يجب التوقف عندها و هي طريقة دفع المقتنيات أو مصاريف الخدمات. مازلت اذكر أيام دراستي بالولايات المتحدة الأمريكية حيث كانت مظاهر التوجه الحديث في أواخر الثمانينات لتعميم استعمال البطاقة البنكية لدفع مشتريات لا يتجاوز سعرها الخمس دولارات! و كانت هذه السياسة تقتضي أن تقبل المحلات التجارية الدفع الإلكتروني لمبالغ صغيرة قد لا تتجاوز الدولارين فقط و ذلك للحد من استعمال النقود السائلة في المتاجر و المقاهي و غيرها من المحلات. و ما جزني للحديث عن هذا الموضوع هو ما عبرت عنه زميلتي عندما رغبتي استعمال بطاقتها الإلكترونية لبقى متحف باردو في سجلاتها كتنكرار عن زيارتها فأصابتنا خيبة أخرى عندما علمنا بغياب صرف الي للدفع الإلكتروني.

و اتجهنا بعد تعليق جولتنا في أجنحة المتحف إلى المحل التجاري لاقتناء بعض التذكارات فوجئنا بعدم توفرها. شعرت آنذاك بالذهول، كيف تتعدم التذكارات في متحف ذي صيت عالمي كهذا؟

و لما استفسرت عن الأسباب قيل لي بكل بساطة أن المحل المزود للمتحف قد أغلق لتقلص الطلب منذ الثورة و خاصة بعد الهجوم الإرهابي في باردو. فاكثفنا باقتناء بعض الكتب الخاصة بمجموعة الفسيفساء و بقرطاج، في ظل غياب مجموعة غنية من المؤلفات كان يفترض بها التواجد بمثل هذه الفضاءات مثل بعضالكتب عن مدينة صفاقس التي توجت مؤخرا عاصمة للثقافة العربية 2016.

و أعيب في هذا الصدد على السيدة المسؤولة عن المكتبة عدم تفاعلها معنا، إذ أنها لم تتكبد عناء الترحيب بنا أو الحديث عن مجموعة الفسيفساء أو حتى إرشادنا إلى المعروضات المناسبة و لولا عامل الصرافة الذي تقدم من محلّه للاهتمام بنا و الاستجابة لاستفساراتنا لكانت خيبتنا مضاعفة. و لقد دفعني سلوك هذه الموظفة إلى التفكير في المقاييس التي اعتمدت لتوظيف هكذا موظفة الصامتة لتكون مسؤولة عن المكتبة!

و في آخر المطاف و قبل مغادرة المتحف، فوجئنا بعدم تواجد صندوق للتبرعات. يجب الاعتراف بأن مبادرة مجانية الدخول بالنسبة للتونسيين المقيمين بالخارج مشجعة للغاية و لكن قد يرغب البعض مئا في التبرع بالمال لدعم أشغال الترميم و التحسين بالمتحف؛ و من المؤسف أن لا تكثرت الإدارة الحالية لمثل هذه الحوافز و أن لا تشجع على المساهمة في الحفاظ على الموروث الحضاري بالمتحف. قد لا يكون هذا التقصير في تنظيم المتحف خطأ الإدارة الحالية وحدها، و قد تكون للنظام السابق يد في تهميش الفنون و الثقافة؛ و لكن يصعب استيعاب أسباب تأخر الإدارة الحالية و عدم تماشيها و المقاييس العالمية في مجال الخدمات المقدمة في المتاحف العالمية. من المؤسف أن تكون حال المتحف على ما هي عليه و هو يتواجد حذو مجلس النواب الذي يضم ممثلين عن الشعب لطالما وظفوا الثقافة في حملاتهم الانتخابية و تأثيث خطابهم الدعائية.

الرجاء النهوض بمتحف باردو و البحث عن حلول لأزمة الإدارة الحالية

الدكتور ماهر بهلول



الدكتور ماهر بهلول

نبذة عن الكاتب

الدكتور بهلول متحصّل على شهادة الدكتوراه في علم اللغة من جامعة كورنيل بنيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية ودرجة الماجستير من جامعة السوربون من باريس (3) بفرنسا. قام خلال سيرته المهنية بتدريس عدد كبير من برامج الدراسات العليا و مقرّرات مرحلة الدرجة الجامعية الأولى بالولايات المتحدة الأمريكية و شمال أفريقيا و الشرق الأوسط.